النماذج والمقاربات البيداغوجية (3) -المحاضرة 4-

النموذج البنائي:

يعتبر هذا النموذج المعارف مجرد موارد يتم استعمالها واستثمارها لتنمية الخبرات والقدرات والكفايات الشخصية في علاقة بالحقل الاجتماعي للمتعلم. لذلك كان المتعلم في هذا النموذج فاعلا ينتظر منه نوظيف الموارد التي توضع رهن إشارته، بما في ذلك مكونات البيئة المدرسية والوضعية التعليمية، تحت قيادة المدرس الذي يتولى تنظيم النشاط التعليبمي التعلمي في شكل مهام داخل وضعيات بها إشكال أو تمثل مشكلة تحفز على النشاط واستعمال المهارات والقدرات لإيجاد حلول لها. أما استراتيجية التعلم، فهي ادماجية قائمة على تنمية حصيلة القدرات والكفايات بخبرات جديدة. لذلك كان ينتظم التعلم في شكل مشاريع(قضايا، مشاكل..) تدفع المتعلم لاستعمال كافة الموارد الشخصية، أو المتاحة التي توضع رهن إشارته لبلورة حلول ممكنة. (دفاتر التربية والتكوين 2017، 11)

كما يعتمد النموذج البنائي على الافتراضات الثلاثة التالية:

1. من خلال العمل (حل المشكلات) يتعلم المرء.

2. "مهما كان عمره، فإن العقل ليس صفحة بيضاء أبداً، أو شمع معد للتشكيل. وغالبًا ما تقف العروض والمفاهيم الأولية للمعرفة في طريق المعرفة الجديدة.

3. لا يتم اكتساب المعرفة عن طريق التراص والتركم البسيط للمعلومات؛ بل تنتقل استيعاب المعلومات من حالة توازن إلى أخرى عبر مراحل انتقالية عابرة (تتخللها حالة لا توازن)، يتم خلالها وضع المعرفة السابقة محل النقد والشك والخطأ.

وفقًا لهذا النموذج، يتطلب اكتساب المعرفة تحويل المعلومات التي يتلقاها المتعلم من خلال تجاربه السابقة ومعرفته. للوصول إلى حالة أعلى من المعرفة، ومن الضروري بالتالي طرح الأسئلة حول المفاهيم والمعارف الأولية، وإعادة تنظيمها من خلال دمج البيانات والمعلومات الجديدة فيها. ولن يكون المتعلم مستعدًا تمامًا لهذا الجهد الصعب (لأنه ينطوي

على مرحلة لزعزعة الاستقرار أو عدم التوازن) ما لم يكن يدرك عدم كفاية تمثيلاته. لذلك يضع المعلم التلميذ في موقف قادر على خلق صراع إدراكي له بسبب التناقض بين توقعه (استنادًا إلى تصوره الأولي) وحقيقة واقعة ملحوظة. كما يمكن أن يأتي الإنكار (حالة عدم التوازن) من الموقف نفسه (مفهوم الموقف – المشكلة)، أو من خلال أقرانه (أثناء العمل الجماعي). ومع ذلك، من الضروري ألا يأتي الشك والإنكار (حالة اللاتوزن) من المعلم، حيث يخاطر التلميذ بخلاف ذلك بحل النزاع عن طريق التمييز بين الحقيقة المدرسية والحياة "الحقيقية".

- **دور المعلم:** دور المعلم معقد؛ بحيث يجب عليه أولاً تحديد العقبات المتكررة ، ثم وضع المواقف المصممة لتوعية المتعلم بعدم كفاية تصوراته. وأخيرًا، ينبغي عليه أن يساعد التلميذ في بناء المعرفة الجديدة، ثم توطيدها من خلال تمارين مخصصة.
- **دور التلميذ:** هو حل المشكلة المطروحة، لاستثمار معرفته الأولية فيها، وقبول زعزعة الاستقرار التي يوفرها الحرمان وعدم المعرفة، والاعتراف بالحاجة إلى حالة اللاتوازن هذه لتكون قادرة على التقدم (والتي ينبغي أن يكون موضوع لعقد تعليمي مناسب). وأخيرًا، عليه أن يبني بمساعدة المعلم، المعرفة الجديدة، ثم يوطدها بتمارين مخصصة.
- **أخطاء التلاميذ:** تدل على عدم كفاية المفاهيم. على اعتبارها بهذا المعنى جزء من التعلم.
- **ميزات هذا النموذج:** يواجه المتعلم مشكلة ينبغي حلها، مما يسمح له بمعرفة تعلمه. ونظرًا لأن التصميمات الأولية غير الكافية قد تم إتلافها أو إعادة تشكيلها، لم يعد من المحتمل ظهورها مرة أخرى، وأصبحت حالة التوازن الجديدة مستدامة.
- **حدود النموذج:** التدريس على أساس هذا النموذج

– يتطلب استثمار الكثير من الوقت، والذي قد لا يكون متاح في كل مرة.

– تتطلب درجة عالية من الكفاءة من المعلم، سواء للتصميم أو لإدارة الدروس.

– من الصعب في بعض الأحيان إيجاد مواقف مناسبة للمشاكل المطروحة.

– مرحلة زعزعة الاستقرار حساسة بالنسبة لبعض المتعلمين (خاصة التلاميذ الذين يعانون صعوبات كبيرة في التعليم).

(http://bdp.ge.ch/webphys/recherche/trouve_detail.php?id=424, P3, 4)

مقاربة المنهاج الدراسي في مجال التربية والتعليم :

المقاربة بالكفاءات: ظلت المقاربة الإدراكية الباراديغم الأكثر انتشارا حتى نهاية الثمانينيات ثم جاءت المقاربة بالكفاءات لتعيب عليها عدم مراعاتها لمشاعر المتعلم، والحالة التي يتم فيها التعلم، ولعل أهم الفروق بينهما هي ما يلي وهي تعتمد على مصطلح المهارة، الأداء، القدرة والسلوك:– في المقاربة الإدراكية يكون التدريس خارج عن سياق أو في وسط سياق معين، والمعرفة في المقاربة الإدراكية يقابلها الإمكانية أو القدرة الحالية، وكذا مفهوم المشكلة أو المسألة يقابله مفهوم الأنشطة، ومفهوم التعريف يقابله مفهوم الحدود، ومفهوم حل المسألة يقابله مفهوم تخطي تعارضات ظاهرية.

وجاء في (مناهج السنة الأولى من التعليم الثانوي، 2005، 7) أن التدريس بالمقاربة بالكفاءات يعتبر امتدادا للتدريس بالمقاربة بالأهداف، وتمحيصا لإطارها المنهجي والعلمي، حيث تجعل التلميذ محورا أساسيا في عملية التعلم.

وبصيغة أخرى هي مقاربة أساسها أهداف معلن عنها في صيغة كفاءات، يتم اكتسابها في مجال التربية البدنية باعتماد محتويات منطلقها الأنشطة البدنية والرياضية كدعامة ثقافية، وكذا مكتسبات المراحل التعليمية السابقة، والمنهج الذي يجعل التلميذ في مركز الاهتمام في العملية التربوية (الوثيقة المرفقة لمنهاج التربية البدنية للسنة الرابعة متوسط، 2005، 99)

فالكفاءات تمكن التلميذ – طبقا لدرجة نضجه– من استثمار المعارف في الوضعيات التعليمية، ومحاكاتها في التصرفات خارج المدرسة، و/أو في مواجهة وضعيات معقدة من خلال استنفار القدرات العقلية كالتفكير والتخيل، والتوقع واتخاذ القرارات والتنظيم والتفاوض..، فيكون التعلم مبني على أساس اكتساب كفاءات تساعد على تخطي مصاعب الحياة، عوض تراكم

المكتسبات وتكديسها، ومن ثم الانتقال من ذهنية المستهلك إلى سلوك المنتج للعلوم والتكنولوجيا...وبطريقة أخرى التغير في منهج التدريس عند الأستاذ من أسلوب التلقين والإتباع، إلى أسلوب التكوين والابتداع.

وفي هذا الصدد يذكر(الشحات، محمد محمد ، 1999، 144) أن أهمية المؤسسات التعليمية وقيمتها تتمثل في منح التلاميذ القدرات والمهارات التي تسمح لهم بأن يكونوا أكفاء فعلا للقيام بأشياء تنفعهم ومجتمعهم، ومن ثم فالغاية من إصلاح الأنظمة التعليمية أو تعديلها، هو تطوير مقاصد التعلم لجعلها أكثر انسجاما مع حاجات الأفراد والمجتمع على حد سواء، ومن ثم الاستفادة من كل المعارف والمعلومات التي يكتسبونها، حيث يمكنهم توظيفها في مجالها كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وحسب ما ذكر (هني، خير الدين، 2005، 47) فإن المقاربة الكفاءات جاءت كنتيجة حتمية لتطور طبيعي للمقاربة بالأهداف، في ظل الصراع المحتدم بين أنصار المدرسة السلوكية وبين أنصار المدرسة البنائية ذات النزعة العقلانية، ومن أشهر روادها بياجي، لوبولش وقبلهم ديكارت – الذي وضع جذورها الأولى في القرن السابع عشر–، حيث تعتبر المدرسة البنائية التعلم نشاطا عقليا بحتا، يحدث نتيجة لتفاعلات تقع بين الإشكالية والذات الإنسانية، وليس نتيجة المثير والاستجابة، فالتعلم يتم من خلال إدراك العلاقات والأشكال التي تنتظم ضمن سياقها الوضعيات التعليمية، ومن ثم كانت المدرسة ترفض فكرة تزويد الطفل بمجموعة معارف يكيفها مبدأ المثير والاستجابة. فالتعلم وفق النظرية البنائية يحدث نتيجة وضع المتعلمين أمام مشكلات حقيقية، متدرجة في الصعوبة تنمي قدراتهم العقلية، ضمن أنشطة تعالج أهدافا عقلية ووجدانية ومهارية، تجعلهم في نهاية المطاف قادرين عل توظيف تلك القدرات والطاقات بشكل فعال في حياتهم الواقعية.